العقاب الإلهي العادل للكفار الآيات (٥٠- ٥٤) من سورة الأنفال (دراسة تحليلية)

م.م. خليل ذياب احمد الخزرجي
كلية التربية للبنات/ قسم علوم القران
جامعة تكريت

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القران تبيانا للناس، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله إنسانا، واله وصحبه إلى يوم اليوم الذي فيه نلقاه ويلقانا.

وبعد:

فبين أيدينا دراسة تحليلية للآيات (٥٠- ٥٤) من سورة الأنفال، وضعت لها عنوان: (العقاب الإلهي العادل للكفار) ولست أخال أنني بحاجة إلى بيان أهمية الموضوع، ومقدار الحاجة إليه، فهو يأتي في إطار الجهود الرامية إلى تقديم كنوز كتاب الله في حلة جديدة؛ وقد صدرته بتمهيد عنوانه: (بين يدي سورة الأنفال) وقسمته على مبحثين:

أولهما: عن الآيتين (٥٠ – ٥١) من السورة الكريمة.

وثانيهما: عن الآيتين (٥٣ – ٥٤) من السورة نفسها.

ثم بعد ذلك الخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع.

أسأل الله جل جلاله أن تكون هذه الدراسة لبنة في بناء، وخطوة على طريق البحث العلمي الرصين خدمة لكتاب الله، وقارئه، والعامل به، وبالله التوفيق.

تمهيد

بين يدي سورة الأنفال

وهي مدنية، آياتها سبعون وست آيات. كلماتها ألف كلمة، وستمائة كلمة، وإحدى. وثلاثون كلمة، حروفها خمسة آلاف ومائتان، وأربعة وتسعون حرفا[١]. وموضوعها الرئيس: غزوة بدر الكبرى التي كانت بوابة النصر للمؤمنين حتى سمّاها قسم من الصحابة بسورة بدر[٢]؛ لأنها تناولت أحداث هذه الموقعة بإسهاب، ورسمت الخطة التفصيلية للقتال، وبيّنت ما ينبغي أن يكون عليه المسلم من البطولة والوقوف في وجه الباطل بكل جرأة وشجاعة وصمود[٣].

وقد سبق في السور الطوال التي سبقت الأنفال أن عرضت لنا المنهج، وكيف نثبت عليه بالتوحيد الخاص لله وبالعدل وحسم المواقف.

ثم جاءت سورة الأنفال لتبّين لنا أنه حتى ينتصر المنهج يجب أن يكون له قوانين للنصر، فالنصر لا يأتي مصادفه ولا فجأة وإنما يحتاج إلى قوانين، فسورة الأنفال تتحدث

عن قانونين للنصر في غزوة بدر، بل يَعمان كل الغزوات والمعارك في صراع الإيمان مع الكفر:

قوانين ربّانية (النصر من عند الله).

قوانين مادية (الاستعداد للقتال بالعدة والتهيئة).

والسورة تنقسم على قسمين بارزين كل منهما يتناول أحد هذه القوانين.

والسورة تحتوي على توازن بين القانونين، النصر من عند الله فبعد التوحيد الخاص لله في سورة الأنعام جاء النصر في سورة الأنفال من عند الله امراً طبيعياً ولكن لابد من التخطيط والاستعداد ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣﴾[٤] «بمعنى نبذل كل الجهد ونتوكل على الله حتى ينصرنا»[٥] وسميت السورة الأنفال لورود كلمة الأنفال وهي لغة تعني الغنائم[٦]، وكان المسلمون بعد انتصارهم قد اختلفوا كيف توزع الغنائم عليهم والله تعالى أراد أن ينبههم إلى أن الغنائم هي من الدنيا والاختلاف على الدنيا والله تعالى يريد أن يرسخ في قلوب المسلمين قوانين النصر بعيدا عن الدنيا ورموزها، والأنفال قضية فرعية أمام القضية المهمة التي هي تقوى الله ولذا فإنّ السورة ابتدأت بالسؤال عن الأنفال في الآية ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١﴾[٧] ولم تأت الإجابة عن السؤال إلا في الآية ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١﴾[٨] ولهذا حكمة من الله تعالى. إذن فالمعنى أن سورة الأنفال تتحدث عن قوانين النصر وأكثر ما يؤثر على قوانين النصر في الدنيا، والأنفال هي من الدنيا فكأن الأنفال هي التي تضيّع النصر وفي السورة تحذير للمسلمين من الفرقة من أجل الدنيا وتوجيه لهم بالوحدة والأخوّة والتخطيط والرجوع إلى الله لتحقيق النصر.

القسم الأول من السورة:

وما النصر إلا من عند الله: (الآيات في الربعين الأولين) تذكر أن الله تعالى هو الذي نصرهم فعلينا أن نثق بالله تعالى ونتوكل عليه؛ لأنه صانع النصر. ودليل ذالك:

١. **الترتيب للمعركة** من الله تعالى ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٨ ﴾[٩].

٢. **الإعداد النفسي للمعركة:** ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ۝١١ ﴾[١٠] و﴿ وَإِذۡ يُرِيكَهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝٤٤ ﴾[١١].

٣. **نـــــزول الملائكـــــة** ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ۝٩ ﴾[١٢] و﴿ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ۝١٢ ﴾[١٣].

٤. **موعد ومكان المعركة بترتيب من الله:** ﴿ إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٤٢ ﴾[١٤] لما انزل الله تعالى المطر جعل الأرض عند المسلمين صلبة تعينهم على خفة الحركة وجعل الأرض عند المشركين طينية أعاقت حركتهم في المعركة وهذا بتدبير الله عز وجل.

٥. **نتيجـــة المعركـــة** ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠ ﴾[١٥] و﴿ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝١٧ ﴾[١٦].

كل هذه الآيات تدل على أن الله تعالى هو الذي صنع النصر في غزوة بدر.

القسم الثاني من السورة

تناوله في الجزء الأخير من السورة ويتحدث في القوانين المادية للنصر وهي:

١. أهميـــة التخطـــيط ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾[١٧].

٢. مـــوازين القـــوى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[١٨] «الأسباب المادية مهمة أيضا حتى أن هزيمة الكفار تعود إلى الأسباب المادية، لأنهم لم يكونوا يفهمون الحرب جيدا ولم يعرفوا عدوهم»[١٩].

٣. الأخـــــــــــوّة: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[٢٠] و﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾[٢١] فقضية الأخوّة هي من أهم الأسباب المادية التي تصنع النصر فالمؤمنون مهما اختلفت أجناسهم أمة واحدة. ونلاحظ ارتباط هذه السورة بسورة آل عمران من منطق الأخـوّة ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[٢٢] و﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾[٢٣] تعين على الثبات كما هو هدف السورة.

المبحث الأول
الآيتان (٥٠- ٥١) من سورة الأنفال
دراسة تحليلية

قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾[٢٤]

أولاً- صلة الآيتين بما قبلهما:

قدمت الآيات السابقة وصفا تفصيليا للهزيمة التي حلت بالمشركين في معركة بدر وكيف مكّن الله المسلمين منهم، على ضعف هؤلاء وقوة أولئك، حتى ليوقن السامع أن ما نالهم يومئذ إنما هو خذلان من الله لهم، وإيذان بأن نهايتهم وشيكة ما داموا مناوئين للإسلام، وفي هذه الآية انتقل السياق إلى وصف ما لقيه قتلاهم في بدر من العذاب، مما هو مغيب عن الناس، ليعلم المؤمنون ويرتدع الكافرون، هذا كان المراد بـ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ هنا هزمه المشركين يومئذ، وتكون هذه الآية من تمام الخبر عن المشركين في بدر. ويجوز أن يكون المراد بـ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾: جميع الكافرين حملا للموصل على معنى العموم، فتكون الآية اعتراضاً مستطردا في أثناء القصة بمناسبة وصف ما لقيه المشركين في ذلك اليوم الذي عَجّل لهم فيه العذاب المتمثل بالقتال[٢٥].

ثانياً- سبب النزول:

قال ابن الجوزي: قال بعض المفسرون: نزلت في الرهط الذين قالوا: ﴿ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ﴾[٢٦] ولم يذكر القائلين، ولا أسندهم، ويبدو لنا من السياق القرآني أن هذه الآيات جاءت ضمن طائفة من الآيات عن غزوة بدر، فأحداث هذه الغزوة هي سبب نزول هذه الآيات والطائفة كلها[٢٧].

ثالثا- اللغة:

(وَلَوْ تَرَىٰ): الخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل من يصلح له، والمعنى: ولو رأيت، لأن لو تقلب المضارع ماضيا، وجواب لو محذوف تقديره لرأيت أمراً عظيماً[٢٨].

(إِذْ) ظرف لترى والمفعول محذوف: أي: ولو ترى الكافرين وقت توفِّي الملائكة لهم، قيل: أراد بالذين كفروا من لم يقتل يوم بدر، وقيل: هي فيمن قتل ببدر[٢٩].

(ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ): هم ملائكة العذاب، وقيل ملك الموت وحده. والقول الأول أصوب[٣٠].

(وَأَدْبَٰرَهُمْ): قال جل المفسرين يريد استاههم ولكن الله الكريم كنى، وإنما خصوهما بالضرب، لأن الخزي والنكال في ضربهما أشد[٣١]. وقيل: أراد ظهورهم وما أدبر منهم[٣٢].

(وَذُوقُوا): ذوقوا باشروا وجربوا وليس من ذوق الم، والذوق هنا بمعنى المباشرة والتجربة لا بمعنى ذوق الفم وهذا من المجاز أن يستعمل الذوق وهو مما يتعلق بالأجسام في المعاني[٣٣]. كما في قوله تعالى: ﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾[٣٤].

(عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ): أي مقدمة عذاب النار. أو وذوقوا عذاب الآخرة: بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار[٣٥].

(ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ): أي ذلك العذاب بسببين: بسبب كفركم ومعاصيكم[٣٦].

(لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ) أي: لا يعاقب العبد بغير إساءة ولا يحرمه ثواب إحسانه[٣٧].

والقاعدة هي أن نفي المبالغة في الفعل (فعال) لا يستلزم نفي أصل الفعل (فاعل) ومن المشكل قوله تعالى ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾[٣٨] وتقريره أنه لا يلزم من نفي الظلم بصيغة المبالغة نفي أصل الظلم، والواقع نفيه قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[٣٩] و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[٤٠] وأجيب عن الآية بأجوبة:

احدها: أن ظلاما وإن كان للكثير جيء في مقابلة العبيد الذي هو جمع كثرة ويرشحه أنه تعالى قال علام الغيوب فقابل صيغة فعال بالجمع وقال في آية أخرى عالم الغيب فقابل صيغة فاعل الدالة على أصل الفعل بالواحد.

الثاني: أنه على نفى الظلم الكثير لينتقي القليل ضرورة لأن الذي يظلم إنما يظلم لانتفاعه بالظلم فإذا ترك الكثير مع زيادة نفعه فلأن يترك القليل أولى.

الثالث: أنه على السبة أي بذي ظلم حكاه ابن مالك عن المحققين.

الرابع: أنه أتى بمعنى فاعل لا كثرة فيه.

الخامس: أن أقل القليل لو ورد منه تعالى لكان كثيرا كما يقال زلة العالم كبيرة.

سادسا: قال ابن القيم: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾[٤١] هذه الإذاقة هي في البرزخ، وأولها حين الوفاة فإنه معطوف على قوله: **(يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ)** وهو من القول المحذوف مقوله لدلالة الكلام عليه كنظائره وكلامها واقع وقت الوفاة[٤٢]. التوفي مأخوذ من توفيت الدين واستوفيته إذا قبضة ولم يدع منه شيئا فتارة يضاف إلى ملك الموت لمباشرته ذلك وتارة إلى الله تعالى.

رابعاً- البلاغة:

أولا: أنه أراد ليس بظالم تأكيدا للنفي فعبر عن ذلك بـ**(لَيْسَ بِظَلَّامٍ)**.

ثانياً: أنه ورد جوابا لمن ظلام، والتكرار إذا ورد جوابا لكلام خاص لم يكن له مفهوم.

ثالثاً: أن صيغة المبالغة وغيرها في صفات الله سواء في الإثبات فجرى النفي على ذلك.

رابعاً: أنه قصد التعريض بأن ثم ظلاما للعبيد من ولاة الجور[٤٣].

خامساً- القراءات:

قرأ الجمهور (يَتَوَفَّى) بالياء، وقرأ ابن عامر: (تَتَوَفَّى) بتاءين[٤٤]. وقرئ يتوفى بالياء والتاء[٤٥].

سادسا- المعنى العام:

أولاً: لو عاينت يا نبينا ويا أيها المكلف حال توفي الملائكة أرواح الكفار لرأيت أمرا عظيما هائلا فظيعا منكرا، فهم يتعرضون من الإمام ومن الخلف، نظيره في القرآن قوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾[٤٦] أي: بالضرب لهم حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم، ومن السنة حديث البراء بن عازب: ... وان الكافر إذا

كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزلت عليه ملائكة غلاظ شداد فانتزعوا روحه كما ينتزع السفود[٤٧] الكثير الشعب من الصوف المبتل وتنزع نفسه مع العروق[٤٨].

ثانيا: جازاكم الله بهذا الجزاء بسبب ما عملتم من الأعمال السيئة في حياتكم الدنيا[٤٩] وهو سبحانه الحكم العدل الذي لا يعاقب إلا بذنب، ولهذا قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[٥٠] ولهذا جاء في الحديث القدسي الصحيح: **«يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا... يا عبادي إنما أعمالكم أحصيها لكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه»**[٥١].

ثالثا: وهذا السياق وإن كان سببه وقعة بدر ولكنه عام في حق كل كافر، ولهذا لم يخصصه تعالى بأهل بدر بل قال (ٱلَّذِينَ كَفَرُوا)[٥٢].

سابعاً- الأحكام والمعاني المستنبطة:

١- الإيمان بعذاب القبر:

قال البيهقي- رحمه الله[٥٣]-: فصل في عذاب القبر كل معذب في الآخرة، من كافر ومؤمن، فإنه يميز بينه وبين من لا عذاب عليه، عند نزول الملائكة عليه بقبض روحه، وفي حال القبض، وفي الموضوع الذي يصار إليه روحه وبعدها يقبر قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[٥٤] الآية وفسرها مجاهد فقال: ذلك عند الموت، وقال في الكفار[٥٥]: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾[٥٦] أي يقولون لهم هذا تعريضا لهم إياهم بأنهم يقدمون على عذاب الحريق، وقال ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ ﴾[٥٧] الآية، فدلت هذه الآيات على أن الكفار يعنف عليهم في نزع أرواحهم، وإخراج أنفسهم، ويعرفون مع ذلك أنهم قادمون على الهون والعذاب الشديد، كما يرفق بالمؤمنين ويبشرون بما هم قادمون عليه من الأمن والنعيم المقيم قال الله ﷻ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ

﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾[٥٨] الآية وروي عن البراء بن عازب وأبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أن ذلك في المؤمن إذا سئل في قبره، وكذلك روي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ[٥٩] وكذلك جاء في التفسير عن ابن عباس ﷺ[٦٠] وقال الله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾[٦١]: قال مجاهد: يعني بقوله: (يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) ما كانت الدنيا، وقال قتادة: يقال لهم: يا آل فرعون هذه منازلكم، توبيخا وصغارا ونقمة، وقال في المنافقين: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ ١٠١﴾[٦٢] وقال قتادة: عذاب في القبر وعذاب في النار، فيمن أعرض عن ذكر الله: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾[٦٣]. وروي عن عطاء في قوله: ﴿إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ﴾[٦٤] قال: ضعف الممات: عذاب القبر، وروي عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[٦٥] قال: عذاب يوم القيامة[٦٦] كما قال عز وجل: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٤٢﴾[٦٧] وقال ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾[٦٨] وقال الكلبي: يقبض ملك الموت الروح من الجسد ثم يسلمها إلى ملائكة الرحمة إن كان مؤمنا وإلى ملائكة العذاب إن كان كافرا[٦٩].

المبحث الثاني
الآيات (٥٢- ٥٤) من سورة الأنفال
دراسة تحليلية

قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[٧٠]

أولا- اللغة:

(كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ): كصنيع آل فرعون، وقيل: كسنة آل فرعون وكفعل آل فرعون وكشبه آل فرعون، والألفاظ متقاربة، والدأب- بالتسكين والتحريك- كنهر ونهر هو الصنيع والحال والشأن والأمر والعادة، كما يقال: لا يزال هذا دأبي ودأبك، وقال امرؤ القيس:

كـــدأبك مـــن أم الحـــويرث قبلهـــا وجارتهـــــا أم الربـــــاب بمأســـــل[٧١]

والمعنى كعادتك في أم الحويرث حين أهلكت نفسك في حبها وبكيت دارها ورسمها[٧٢]، والمعنى في الآية أن الكافرين لا تغني عنهم الأموال ولا الأولاد بل يهلكون ويعذبون كما جرى لآل فرعون ومن قبلهم من المكذبين للرسل فيما جاؤوا به من آيات الله وحججه [٧٣]، واختلفوا في الكاف في (كدأبك) فقيل: هي في موضع رفع تقديره دأبهم كدأب آل فرعون، أي صنيع الكفار معك كصنيع آل فرعون مع موسى، وزعم الفراء[٧٤] أن المعنى: كفرت العرب ككفر آل فرعون قال النحاس[٧٥]: لا يجوز أن تكون الكاف متعلقة بكفروا لأن كفروا داخلة في الصلة وقيل: هي متعلقة بـ(فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ) أي أخذهم أخذا كما أخذ آل فرعون قبل: هي متعلقة بقوله: ﴿لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾[٧٦] أي لم تغنِ عنهم غنىً كما لم تغنِ الأموال والأولاد عن آل فرعون، وهذا جواب لمن تخلف عن الجهاد وقال: شغلتنا أموالنا وأهلونا، ويصح أن يعمل فيه فعل مُقدَّر من لفظ الوقود والقول الأول أرجح واختاره غير واحد من العلماء[٧٧].

(وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) أي من قبل آل فرعون من الأمم الكافرة: أي وكدأب الذين من قبلهم[٧٨].

(بِـَٔايَٰتِ): يحتمل أن يريد الآيات المتلُوَّة ويحتمل أن يريد الآيات المنصوبة للدلالة على الوحدانية[٧٩] ويصح إرادة الجميع[٨٠].

(فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ): كما أخذ هؤلاء[٨١].

(بِذُنُوبِهِمْ): أي: بسائر ذنوبهم التي من جملتها تكذيبهم[٨٢].

(إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ) أي لا يغلبه غالب ولا يفوته هارب[٨٣].

(ذَٰلِكَ): الإشارة إلى العقاب الذي أنزله الله بهم وهو مبتدأ وخبره ما بعده والجملة جارية مجرى التعليل لما حل بهم من عذاب الله والمعنى: أن ذلك العقاب بسبب أن عادة الله في عباده عدم تغير نعمة التي ينعم بها عليهم[٨٤].

(حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ): من الأحوال والأخلاق بكفران نعم الله وغمط إحسانه وإهمال أوامره ونواهيه وذلك كما كان من آل فرعون ومن قبلهم ومن قريش ومن يماثلهم من المشركين فإن الله فتح لهم أبواب الخيرات في الدنيا ومن عليهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب فقابلوا هذه النعم بالكفر فاستحقوا تغيير النعم كما غيروا ما كان يجب عليهم سلوكه والعمل به من شكرها وقبولها[٨٥].

(وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ): لما يقولون (عَلِيمٌ): بما يفعلون[٨٦]. قال الطبري: وقوله: (وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) يقول: لا يخفي عليه شيء من كلام خلقه يسمع كلام كل ناطق منهم بخير نطق أو بشر (عَلِيمٌ) بما تضمره صدورهم وهو مجازيهم ومثيبهم على ما يقولون ويعملون إن خيرا فخيرا وإن شرا فشرا[٨٧].

(كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ): تكرار للتأكيد[٨٨].

(وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ): وكلهم من غرقى آل فرعون وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي[٨٩]. والكاف من كدأب في موضع نصب نعت لمحذوف تقديره غيرنا بهم غيروا تغييرا مثل عادتنا في آل فرعون[٩٠].

ثانياً- البلاغة:

قوله تعالى ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ ﴾[٩١]. ثم قال بعد آية: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾[٩٢]. قال الخطيب[٩٣]: قد أجاب فيها بعض أهل النضر بأن قال ذكر في الآية الأولى عقوبته إياهم عند الموت كما فعله بآل فرعون ومن قبلهم من الكفار في الثانية ما يفعل بهم بعد الموت كما فعله بآل فرعون ومن قبلهم فلم يكن تكرار: قال الخطيب والجواب عندي أن الأول إخبار عن عذاب لم يمكن الله أحدا من فعله وهو ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند نزع أرواحهم والثاني إخبار عن عذاب مكن الناس من فعل مثله وهو الإهلاك والإغراق، قلت وله وجهان آخران محتملان أحداهما كدأب آل فرعون فيما فعلوا والثاني كدأب آل فرعون فيما فعل بهم فهم فاعلون على الأول ومفعولون في الثاني[٩٤]. والوجه الآخر أن المراد بالأول كفرهم بالله وبالثاني تكذيبهم بالأنبياء لأن تقدير الآية كذبوا الرسل بردهم آيات الله وله وجه آخر وهو أن يجعل الضمير في كفروا لكفار قريش على تقدير كفروا بآيات الله كدأب آل فرعون وكذلك الثاني كذبوا بآيات ربهم كدأب آل فرعون[٩٥]. ويكون التشبيه في نفس الاحتراق ويؤيد هذا المعنى ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾[٩٦].

ثالثاً- القراءات:

قرئ (وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) بفتح الهمزة، وقرئ بكسرها على الاستئناف[٩٧].

رابعاً- المعنى العام:

١. يقول تعالى: فعل هؤلاء المشركون من قريش الذين قتلوا ببدر كعادة قوم فرعون وصنيعهم وفعلهم وفعل من كذب بحجج الله ورسله من الأمم الخالية قبلهم ففعلنا بهم كفعلنا بأولئك[٩٨].

٢. واخبر الله سبحانه انه إذا أنعم على قوم نعمة فإنه بلطفه ورحمه لا يبدأ منهم بتغييرها حتى يجيء ذلك منهم بأن يغيروا حالهم التي تراد أو تحسن منهم، فإذا فعلوا ذلك غير

الله نعمته عندهم بنقمته منهم ومثال هذه نعمة الله على قريش بنبينا محمد ﷺ فكفروا به فغير الله تلك النعمة بأن نقلها إلى غيرهم من الأنصار وأحل بهم عقوبته[٩٩].

٣. كذب أهل مكة بمحمد والقرآن كما كذب آل فرعون بموسى والتوراة وكذب من قبلهم بأنبيائهم قال مكي بن أبي طالب[١٠٠]. ومثلها الآية الأولى إلا أن الأولى للعادة في العذاب تقدره فعلنا بهم ذلك فعلا مثل عادتنا في آل فرعون قوله تعالى فأهلكناهم يعني الأمم المتقدمة بعضهم بالرجفة وبعضهم بالريح فكذلك أهلكنا كفار مكة ببدر وقال بعضهم يعني بقوله فأهلكناهم الذين أهلكوا ببدر[١٠١].

خامساً- الإحكام والمعاني المستنبطة:

١. تلفت الآيات أنظارنا إلى أهمية معرفة التاريخ، لأخذ العبر منه، وربط الحاضر بالماضي فالآيات تشبه مشركي قريش بآل فرعون، كما تشبه عذاب هؤلاء بعذاب أولئك.

٢. إن لله تعالى سنناً لا تتغير وقوانين لا تتبدل، سننٌ لا تحابي أحدا كائناً من كان ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾[١٠٢]. وهذه سنة وقاعدة اجتماعية سنها الله تعالى ليسير عليها الكون وتنتظم عليها أسس البنيان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾[١٠٣] أي أن الله تبارك وتعالى إذا أنعم على قوم بالأمن والعز والرزق والتمكين في الأرض فإنه سبحانه وتعالى لا يزيل نعمة عنهم ولا يسلبهم إياها إلا إذا بدلوا أحوالهم وكفروا بأنعم الله ونقضوا عهده وارتكبوا ما حرم عليهم. هذا عهد الله ومن أوفى بعهده من الله؟ فإذا فعلوا ذلك لم يكن لهم عند الله عهد ولا ميثاق فجرت عليهم سنة الله التي لا تتغير ولا تتبدل فإذا بالأمن يتحول إلى خوف والغنى يتبدل إلى فقر والعزة تؤول إلى ذلة والتمكين إلى هوان. وإن المتأمل اليوم في حال أمة الإسلام وما أصابها من الضعف والهوان وما سلط عليها من الذل والصغار على أيدي أعدائها بعد أن كانت بالأمس أمة مهيبة الجناح ليرى بعين الحقيقة السبب في ذلك كله رؤيا العين للشمس في رابعة النهار يرى أمة أسرفت على نفسها كثيرا وتمادت في طغيانها أمدا بعيدا واغترت بحلم الله وعفوه وحسبت أن ذلك من رضا الله عنها ونسيت أن الله يمهل ولا يهمل. إننا لن نخرج مما نحن فيه من الذل والصغار ولن ننال العزة والكرامة إلا إذا عدنا

إلى ديننا وتمسكنا بإسلامنا فكما قال عمر بن الخطاب ﷺ: «أنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله»[١٠٤].

الخاتمة

بوسعنا أن نقدم ملخصا للموضوع، فنقول وبالله التوفيق:

١. لقد خاطب الله سبحانه وتعالى نبيه محمد ﷺ وقال له: ولو تعاين، يا محمد، حين يتوفى الملائكةُ أرواحَ الكفار، فتنزعها من أجسادهم، تضرب الوجوه منهم والأستاه، ويقولون لهم: ذوقوا عذاب النار التي تحرقكم يوم ورودكم جهنم.

٢. يقول تعالى مخبرًا عن قول الملائكة لهؤلاء المشركين الذين قتلوا ببدر، أنهم يقولون لهم وهم يضربون وجوههم وأدبارهم: (ذوقوا عذاب الله الذي يحرقكم)، هذا العذاب لكم (**بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ**)، أي: بما كسبت أيديكم من الآثام والأوزار، واجترحتم من معاصي الله أيام حياتكم.

٣. بين الله سبحانه وتعالى: فِعْلُ هؤلاء المشركون من قريش الذين قتلوا ببدر، كعادة قوم فرعون وصنيعهم وفعلهم وفعل من كذّب بحجج الله ورسله من الأمم الخالية قبلهم، ففعلنا بهم كفعلنا بأولئك وقد بينا فيما مضى أن (الدأب)، هو الشأن والعادة، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

٤. بين الله سبحانه وتعالى: غير المشركون بالله (أي المؤمنين بمحمد ﷺ)، المقتولون ببدر، نعمةَ ربهم التي أنعم بها عليهم، بابتعاثه محمدًا منهم وبين أظهرهم، داعيًا لهم إلى الهدى، بتكذيبهم إياه، وحربهم له (**كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ**)، كسنة آل فرعون وعادتهم وفعلهم بموسى نبي الله، في تكذيبهم إياه، وقصدهم لحربه، وعادة.

هوامش البحث

(١) ينظر: تفسير القران العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٠م: ٤٢١/٢.

(٢) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الفكر- بيروت، ١٤٠٣هـ: ٤/ ٣؛ وروح المعاني لشهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت: ١٥٧/٩.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (الجامع لإحكام القران) لمحمد بن احمد الأنصاري (ت٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، طبعة ١٤٠٥هـ: ٣١٦/٧؛ وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع- المنصورة- مصر، ١٤١٥هـ: ٤١١/٢.

(٤) سورة الأنفال: آية ٥٣.

(٥) ينظر: تفسير القرطبي: ٣١٦/٧.

(٦) ينظر: كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال- الموصل: ٣٢٥/٨؛ ومختار الصحاح للرازي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م: ٦٨٨/١؛ والتحرير والتنوير، لابن عاشور محمد الطاهر (ت٩٧٧هـ)، المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر، ١٩٨٤م: ١٧٠٧/١.

(٧) سورة الأنفال: آية ١.

(٨) سورة الأنفال: آية ٤١.

(٩) سورة الأنفال: الآية ٥-٨.

(١٠) سورة الأنفال: آية ١١.

(١١) سورة الأنفال: الآية ٤٤.

(١٢) سورة الأنفال: آية ٩.

(١٣) سورة الأنفال: الآية ١٢.

(١٤) سورة الأنفال: الآية ٤٢.

(١٥) سورة الأنفال: الآية ١٠.

(١٦) سورة الأنفال: الآية ١٧.

(١٧) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

(١٨) سورة الأنفال: الآية ٦٥- ٦٦.

(١٩) ينظر الدر المنثور: ٣/٤.

(٢٠) سورة الأنفال: آية ٤٦.

(٢١) سورة الأنفال: الآية ٦٣- ٦٤.

(٢٢) سورة آل عمران: الآية ٦٥- ٦٦.

(٢٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٥.

(٢٤) سورة الأنفال: آية ٥٠-٥١.

(٢٥) التحرير والتنوير: ١٧٧٨/١.

(٢٦) زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ)، المكتبة الإسلامية، دمشق، ط٣، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م: ٣٦٨/٣.

(٢٧) تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر المخزومي (ت١٢٢هـ)، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر، المنشورات العلمية- بيروت: ٢٦٦/١.

(٢٨) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار الوفاء للطباعة، مصر، ط١، ١٤١٥هـ: ٤٦٢/٢.

(٢٩) فتح القدير: ٤٦٢/٢.

(٣٠) زاد المسير: ٣٦٨/٣.

(٣١) الكشاف جار الله الزمخشري (ت٥٢٨هـ)، تحقيق: مصطفى حسين احمد، دار الكتب العربي- بيروت، ط٣، ١٩٨٧م: ٤٦٤/١.

(٣٢) تفسير الثعالبي المعروف بالجواهر والإحسان في تفسير القران، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي- بيروت: ١٠٤/٢.

(٣٣) عمدة القاري، بدر الدين العيني (ت٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث- بيروت: ١٦٣/١٥.

(٣٤) سورة التغابن: الآية ٥.

(٣٥) الكشاف: ٤٦٤/١.

(٣٦) المصدر نفسه.

(٣٧) مفتاح دار السعادة ومنشورات ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر أيوب أبو عبد الله (ت٧٣٤هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت: ١٠٨/٢؛ ومعجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر- بيروت، ١٤٢٣هـ: ١٩٠/٤.

(٣٨) سورة فصلت: آية ٤٦.

(٣٩) سورة يونس: آية ٤٤.

(٤٠) سورة النساء: الآية ٤٠.

(٤١) سورة الأنفال: الآية ٥٠.

(٤٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ت٧٣٤هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت: ٤٣/١.

(٤٣) الإتقان في علوم القران، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: د.محمد ابو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م: ٢١١/٢.

(٤٤) زاد المسير: ٣٦٨/٣؛ والحجة في القراءات السبعة: ١٣٢/٢.

(٤٥) الكشاف: ٤٦٤/١؛ وكتاب السبعة في القراءات: ٣٣/١.

(٤٦) سورة الأنعام: آية ٩٣.

(٤٧) السفود والسفود بالتشديد حديده ذات شعب معقفة يشوى بها اللحم، وجمعه سفافيد. ينظر: لسان العرب، ابن منظور (ت٧١١هـ)، دار إحياء التراث- بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ: ٢١٨/٣.

(٤٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار الفكر- بيروت، ١٤٠١هـ: ١٢٧/٢.

(٤٩) مختصر ابن كثير، محمد علي الصابوني، دار الكتاب العربي- بيروت، ١٤٢٢هـ: ١٣٢/٢.

(٥٠) سورة هود: الآية ١٧١.

[٥١] صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، مطبعة محمد علي صبيح- مصر: ١٩٩٤/٤؛ صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن احمد التميمي السبتي (ت٣١٨هـ)، تحقيق: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

[٥٢] تفسير ابن كثير: ٤٢١/٢.

[٥٣] ينظر: شعب الإيمان: ٣٥٤/١.

[٥٤] سورة فصلت: آية ٣٠.

[٥٥] تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية- بيروت: ٤٢/٢.

[٥٦] سورة الأنفال: آية ٥٠.

[٥٧] سورة الأنعام آية ٩٣.

[٥٨] سورة إبراهيم: آية ٢٧.

[٥٩] أخرجه: البخاري في صحيحه: ١٧٣٥/٤ واللفظ له؛ ومسلم في صحيحه: ٢٢٠١/٤؛ أبي داوود في سننه: ٦٥١/٢؛ والترمذي في سننه: ٢٩٥/٥؛ والنسائي في سننه: ١٠١/٤؛ وابن ماجه في سننه: ١٤٢٦/٢؛ واحمد في مسنده: ٢٥٢/٤؛ وابن حبان في صحيحه: ٤٣٦/١.

[٦٠] تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، الفيروز آبادي، دار النشر: دار الكتب العلمية- لبنان: ٩٠/١.

[٦١] سورة غافر: الآية ٤٥- ٤٦.

[٦٢] سورة التوبة: الآية ١٠١.

[٦٣] سورة طه: الآية ١٢٤.

[٦٤] سورة الإسراء: الآية ٧٥.

[٦٥] سورة الطور: الآية ٤٧.

[٦٦] شعب الإيمان، البيهقي، دار الكتب العربي- بيروت، ١٩٩٤م: ٢١٩/١.

[٦٧] سورة الزمر: الآية ٢٤.

[٦٨] سورة الملك: الآية ٢.

[٦٩] نفسير القرطبي: ٦٩/١.

[٧٠] سورة الأنفال: الاية ٥٢- ٥٤.

[٧١] ينظر: ديوان امرئ القيس ابن حجر الكندي: ١٢٥ والبيت من معلقته المشهورة.

[٧٢] ينظر: لسان العرب: ٣٦٨/١.

[٧٣] ينظر: تفسير ابن كثير: ٤٦٥/١.

[٧٤] الفراء يزيد بن صالح الفراء النيسابوري. ينظر: الوافي بالوفيات: ٢٤/٢٨.

[٧٥] النحاس عيسى بن محمد بن إسحاق أبو عمر بن النحاس. ينظر: لسان الميزان: ٥١٩/٧.

[٧٦] سورة المجادلة: الآية ١٧.

[٧٧] معاني القرآن، أبو جعفر النحاس المتوفى سنة (٣٣٨ هـ): ٦٥/١.

[٧٨] الجامع لإحكام القران: ٣١٦/٧.

[٧٩] فتح القدير: ٤٨٤/١.

[٨٠] تفسير القرطبي: ٢٤/٤.

[٨١] فتح القدير: ٤٨٤/١.

[٨٢] تفسير البيضاوي: ١١٥/١.

[٨٣] تفسير ابن كثير: ٤٢٢/٢.

[٨٤] فتح القدير: ٤٦٣/٢.

[٨٥] نفس المصدر السابق.

[٨٦] تفسير البيضاوي: ١١٥/١.

[٨٧] جامع البيان في بيان تأويل أي القران للطبري: ٢٦٩/٦.

[٨٨] تفسير القران العظيم: ٤٢١/٢.

[٨٩] الكشاف: ٢٦٩/١.

[٩٠] زاد المسير: ١٠٥/٣.

[٩١] سورة الأنفال: الآية ٥٢.

[٩٢] سورة الأنفال الآية ٥٤.

[٩٣] عمار بن نصير بنون مصغر السلمي الدمشقي الخطيب. ينظر: تقريب التهذيب: ٥٧٣/١.

(٩٤) أسرار التكرار في القران، محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت٥٠٠هـ)، تحقيق: عبد القادر احمد عطا، دار الاعتصام- القاهرة، ط٢، ١٣٦٩هـ: ٩٤/١.

(٩٥) المصدر نفسه.

(٩٦) سورة غافر: الآية ٤٥- ٤٦.

(٩٧) ينظر: حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م: ١٢٣/١.

(٩٨) ينظر: تفسير الطبري: ٢٦٩/٦.

(٩٩) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت٨٧٦هـ)، دار العلم العربية، ط١، ١٤١٧هـ: ١٠٥/٢.

(١٠٠) مكي بن أبي احمد الدمشقي الشافعي (ت٦٥١هـ). ينظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: ٤٧١/٦.

(١٠١) ينظر: زاد المسير: ٣٧١/٣.

(١٠٢) سورة الأحزاب: آية ٦٢.

(١٠٣) سورة الرعد: آية ١١.

(١٠٤) ينظر: إحياء علوم الدين، للغزالي (ت٥٠٥هـ)، دار المعرفة- بيروت: ٣٧٥/٣؛ والترغيب والترهيب من الحديث الشريف للمنذري (ت٤٣٢هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٧هـ: ٣٥١/٣؛ والمستدرك: ١٣٠/١.

المصادر والمراجع

بعد القران الكريم:

١. الإتقان في علوم القران: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: د.محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥.
٢. إحياء علوم الدين: للغزالي (ت٥٠٥هـ)، دار المعرفة- بيروت.
٣. أسرار التكرار في القران: محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت٥٠٠هـ) تحقيق: عبد القادر احمد عطا، دار الاعتصام- القاهرة، ط٢، ١٣٩٦هـ.
٤. التحرير والتنوير: لابن عاشور محمد الطاهر المؤسسة الوطنية للكتاب (ت٩٧٣هـ)، الجزائر، ١٩٨٤م.
٥. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: للمنذري (ت٤٣٢هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
٦. تفسير القران العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٠م.
٧. تفسير القرطبي (الجامع لإحكام القران): لمحمد بن احمد الأنصاري (ت٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، طبعة سنة ١٤٠٥هـ.
٨. تفسير مجاهد: مجاهد بن جبر المخزومي (ت١٢٢هـ)، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر، المنشورات العلمية- بيروت.
٩. جامع البيان في تأويل آي من القران: محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار المعرفة- بيروت.
١٠. حلية الأولياء: الحافظ أبو نعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني (ت٤٣٠هـ)، دار الكتب العربي، بيروت، ط٥، ١٤٠٧هـ.
١١. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الفكر- بيروت، ١٤٠٣هـ.
١٢. روح المعاني: لشهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
١٣. زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ)، المكتبة الإسلامية، دمشق، ط٣، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٤.سن ابن ماجه: الحافظ أبو عبد الله محمد القزويني (ت٢٧٥هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ١٣٩٥هـ.
١٥.شعب الأيمان: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت٤٥٨هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت، ١٩٩٤م.
١٦.صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن احمد التميمي ألسبتي تحقيق: تحقيق: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
١٧.صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، دار الجيل- بيروت.
١٨.صحيح مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، مطبعة محمد علي صبيح- مصر.
١٩.عمدة القاري: بدر الدين العيني (ت٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث- بيروت.
٢٠.فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير: للشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع- المنصورة- مصر، ١٤١٥هـ.
٢١. كتاب العين: لأبي عبد الرحمن الخليل الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال- الموصل.
٢٢.الكشاف: جار الله الزمخشري (ت٥٢٨هـ)، تحقيق: مصطفى حسين احمد، دار الكتب العربي- بيروت، ط٣، ١٩٨٧م.
٢٣.لسان العرب: ابن منظور (ت٧١١هـ)، دار إحياء التراث- بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
٢٤.مختار الصحاح للرازي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
٢٥.مختصر ابن كثير: محمد علي الصابوني (ت٧٧٤هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت، ١٤٢٢هـ.
٢٦.المستدرك على الصحيحين: الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسايوري (ت٤٥٠هـ)، دار المعرفة- بيروت.
٢٧. مسند احمد بن حنبل: ابو عبد الله الشيباني (ت٢٤١هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٢٨. مصنف ابن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ)، دار الفكر- بيروت، ط١، ١٤٠٩م.
٢٩. مصنف عبد الرزاق (ت٢٤٥هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الاعظمي، المكتب الإسلامي- بيروت، ط٢.
٣٠. المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن احمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله، دار الحرمين- القاهرة، ١٤١٥هـ.
٣١. معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله (ت٣١٣هـ)، دار الفكر- بيروت، ١٤٢٣هـ.
٣٢. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ت٧٣٤هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت.